بيان عن « كتاب الكهنوت »

الخوراسقف اغابيل الرّحي
حافظ الخزانة والمكتبة البطريركية

تمهيد : اهدى الينا حضرة صديقنا المفضال الخوراسقف بطرس حبيقه ، صاحب التآليف والنشرات العديدة القيّمة في الحقلين الديني والمدني، كتيباً في العربية وفي الافرنسية (١٣+١٥ صفحة بقطع ١٦/٢٠) عنوانه : « بحث قاطع ودرس جامع » وموضوعه صحة نسبة « كتاب الكهنوت » الى مار يوحنا مارون ، وليس الى موسى بركيفا .

وهذا الكتيّب من وضع المرحوم شقيقه الاباتي يوسف حبيقه، وكان رحمه الله قد طرق هذا الموضوع مرة اولى سنة ١٩١٢ ، ومرة ثانية سنة ١٩٣٢ . وقبيل وفاته سنة ١٩٦٤ ، اعاد النظر فيه . فشاء حضرة شقيقه الجليل إن ينشره مجدّداً بالطبع . فاستحقّ الشكر المضاعف : لامانته على إحياء ذكرى شقيقه بنشر مآثره، ولاهتمامه المتواصل ، بالرغم عن شيخوخته الوقورة ، بالدرس والنشر .

وبهذه المناسبة ، بدا لنا تعريف « كتاب الكهنوت » ببيان وضعناه عن نسخه المعروفة ، وعن النصوص المشتملة عليها النسخ ، وعن مؤلف النصوص .

أ — نسخ « كتاب الكهنوت »

نعرف اثنتي عشرة نسخة من « كتاب الكهنوت » :

النسخة الاولى (= ا) في المصحف الواتيكاني السرياني رقم ١٠٠، وكان في بغداد في اوائل القرن العاشر ، فاشتراه فيها رئيس دير السيدة والدة الله ، المعروف بدير السريان ، في برّيه الاسقيط بمصر ، وضمّه الى مكتبة ديره سنة ١٢٤٣ للیونان (٩٣٢ م) ، بعد مشتراه بست سنوات (٩٢٦ م) . وكان من كتب المعلم ابرهيم الحاقلاني في رومية (÷ ١٦٦٤) ورقمه بينها ١٦ .وقد سقط تاريخ نسخه بسقوط اوراقه الاخيرة. على ان العارفين يقدرون انه كُتب في اواخر القرن التاسع او اوائل العاشر .

(السمعاني : المكتبة الشرقية : مجلد ٢ : ص ١٣١-٢ ؛ وفهرست المكتبة الواتيكانية : مجلد ٣ : ص ٥٣٠ و ٥٤٢ — ٥) .

النسخة الثانية (= ب) هي المصحف الواتيكاني السرياني رقم ٣٦٣ ، المنسوخ عن المصحف السابق ، بخط كلداني حديث .

(باي : المجموعة الجديدة للكتبة القدماء : مجلد ٥ : جزء ٢٠ : ص ٤٠) .

النسخة الثالثة (= ج) في المصحف البودليائي السرياني ، رقم ١٥٢ ، وقد خُطَّ في رومية سنة ١٦٥٤م « عن نسخة اقدم عهدًا » .

(بابن سميث : فهرست المخطوطات السريانية في المكتبة البودليانية في اكسفورد : عمود ٦٨٦ و٦٩٣) .

النسخة الرابعة (= د) في المصحف الموصلي السرياني ، المحفوظ في خزانة المطرانية السريانية الارثوذكسية في الموصل ؛ وهو من اوائل القرن الثاني عشر .

(البطريرك برصوم : اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية : ص٢٤٣) .

النسخة الخامسة (= ه) في المصحف المينجاني السرياني ، رقم ٥٦ ، وقد خُطَّ في الموصل سنة ١٩٠٢ م ، عن نسخة اقدم منه بسبعمائة سنة تقريباً ، تخصّ كنيسة مار توما في الموصل .

(مينجانا : فهرست المخطوطات السريانية في مكتبة برمنجهام : مجلد ١ : عمود ١٥٣–٥) .

النسخة السادسة (= و) في المصحف الحمصي السرياني ، المحفوظ في خزانة البطريركية السريانية الارثوذكسية في حمص .

(البطريرك برصوم : ثمّ) .

النسخة السابعة (= ز) في المصحف الشرفي السرياني رقم ١/٤ ، المحفوظ في خزانة دير الشرفة ، لبنان ، وقد خُطَّ في سحرايا قرب برطلّى في بلاد نينوى سنة ١٥٣٥ لليونان (١٢٢٤م) ، وفي « السنة ٦٢٠ للهجرة » .

(الخورفسقوس ارملة : الطرفة في مخطوطات دير الشرفة : ص٧٢) .

ولما كان هذا التاريخ مكتوباً بالاحرف السريانية الاسطرنجيلية (الحسوبة) ، قرأ بعضهم غلطاً النون عيناً ، والحرفان متقاربان شكلاً ، فأصبح التاريخ في زعمه ١٧٣٥ لليونان اي ١٤٢٤م .

(الاباتي يوسف حبيقه : البحث القاطع . . . ص٧) .

النسخة الثامنة (= ح) في المصحف المدياثي السرياني ، عرّفه الاب شيخو قائلاً إنه « نسخة قديمة في كنيسة اليعاقبة في مدياث » .

(شيخو المشرق سنة ١٩٢٠ : ص ١٠٢٧) .

النسخة التاسعة (= ط) في المصحف القسطنطيني السرياني ، المخطوط سنة ١٥٧٤ م .

(البطريرك برصوم : ثمّ : ص٢٥٥) .

النسخة العاشرة (= ي) في المصحف الواتيكاني السرياني رقم ١٠٠ ، خطّه المعلم ابرهيم الحاقلاني بيده في رومية حيث تُوفّي سنة ١٦٦٤ م . وكان بين كتبه يحمل الرقم ٦٤

(السمعاني : المكتبة الشرقية : مجلد ١ : ص ٥٢٠ وفهرست المكتبة الواتيكانية مجلد ٢ : ص ٥٤٥ — ٥١)

النسختان الحادية عشرة (= ك) والثانية عشرة (= ل) وهما اللتان اخذ عنهما الاباتي يوسف حبيقه نصّ كتاب الكهنوت وترجمهُ الى العربية وطبع الاصل والترجمة سنة ١٩١٢ . فاحداهما ، على قوله ، « لا يتجاوز قدمها الستين سنة ، اما الثانية فهي حديثة العهد » . ولم يذكر موضع حفظهما .

(الاب يوسف حبيقه : كتاب الكهنوت : ص ز — ح من المقدمة) .

٢ — نصوص « كتاب الكهنوت »

انّ ما نعرفه عن هذه النسخ الاثنتي عشرة ليس مستوفىً لانه ليس مأخوذًا عن النسخ نفسها ، ما عدا نسخة دير الشرفة ، بل هو مستدٌّ فقط بما ذكره المؤلفون . لكنه كافٍ ، على ما سترى ، لتقرير ما يأتي بشأن نصوص الكتاب .

لا شكّ في ان النسخة « ا » الواتيكانية هي الاكثر اهمية ، لانها اقدم النسخ عهدًا . وقد أبان العلامة السمعاني عن محتواها مفصّلًا . فاذا المقالات في الكهنوت اربع : فصول الاولى ٨ ، والثانية ١٨ ، والثالثة ٢ ، والرابعة ١٠ ؛ على ان هذه الاخيرة مخرومة الاخر ، فلا يُعلم ما كان بعد الفصل العاشر منها . فيكون مجموع فصولها ٣٨ .

وقبل المقالات في الكهنوت ، يرد في النسخة مقالتان : الواحدة في المراتب السماوية ، عدد فصولها ١٦ ، والاخرى في المراتب البيعية ، عدد فصولها ٦ . وقبل هاتين المقالتين ، اي في بدء الكتاب ، اربع مقالات في القيامة ، عدد فصولها (١١ ، ١٥ ، ٨ ، ٢٤ =) ٥٨ .

(السمعاني : فهرست المكتبة الواتيكانية : مجلد ٢ : ص ٥٢٠ — ٤٥) .

النسخة « ب » الواتيكانية ، كما ذكر العلامة ماي ، « منقولة عن المصحف الواتيكاني رقم ١٠٠ القديم جدًّا ، المخطوط قبل السنة ١٢٤٣ لليونان (٩٣١ م (كذا)) » . . . ماي : ثم) . وبهذا دليل كافٍ على ان محتوياتها واحدة .

النسخة « ج » البودليانية، قابلنا ما ذكر عنها في فهرست مخطوطات اكسفورد، فاذا هو مطابق كل المطابقة ما نعرفه عن النسخة « ا » . فقد حوت مثلها اربع مقالات في الكهنوت عناوينها وعناوين فصول كل منها وعدد هذه الفصول هي هي في النسختين . على ان المقالة الرابعة فيها تنتهي بفصل حادي عشر ، لم يبقَ منه سوى شيء من عنوانه هو رقمه وكلمة « ومحمما = الذي يُبين ».

وقبل هذه المقالات الاربع في الكهنوت ، مقالة في المراتب السماوية واخرى في المراتب البيعية ، عدد فصول كل منها وعناوينها كما في النسخة « ا » . اما المقالات الاربع في قيامة الموتى فغير واردة فيها (بابن سيث : ثمّ) .

واذ ليس في رومية، حيث خُطّت هذه النسخة «عن مصحف اقدم عهدًا»، سوى النسخة « ا » الواتيكانية ، فلا ريب ان هذه مصدر تلك .

النسخة « د » الموصلية تحوي ، على ما ذكر غبطة البطريرك برصوم ، « كتاب اللاهوت في الرتبة السوية والرتبة الكنسية ؛ والكهنوت (ثلاث مقالات) والكاهن (مقالتان) ؛ والقيامة ، والعقيدة المسيحية ، وتقدمة الاسرار الالهية؛ وفي الابالسة . . . » (البطريرك برصوم : ثمّ : ص٣٤٢) .

لكن المؤلف نفسه يؤكد في محلّ آخران « كتاب الكهنوت » هذا عينه هو « اربع مقالات وردت في كتاب اللاهوت ». (ثمّ : ص ٢٥٥). فاذا صحّ هذا ، وهو الصحيح على ما نرجح ، يكون « كتاب اللاهوت » في هذه النسخة قائمًا بمقالات اربع ، مثله في النسخة « ا » .

وما يؤسف له ان هذه النسخة الموصلية الهامة ، قد جاء وصفها موجزًا مجملًا : « كسر الكتاب على اثنتي عشرة مقالة ومئة وتسعة واربعين فصلًا». (البطريرك برصوم : ثمّ ص ٣٤٢). فلا يمكننا والحالة هذه معرفة عدد فصول « كتاب الكهنوت » فيها الا بالاجمال ولا بالافراد ، ولا بالتالي مقابلتها من هذا الباب بالنسخة « ا » .

وعلى كل حال لا نستبعد ، بل نرجح كثيرًا ، ان تكون النسخة الموصلية

هذه والنسخة « ا » واحدًا ، او متماثلتين كثيرًا ، كما سيبان من درس النسخة المينجانية الآتي ذكرها المنسوخة عنها .

النسخة « م » المينجانية ، بيان بجلاء انها أخذت عن السابقة ، لانها خُطّت في الموصل عن اصل يرتقي عهده الى ما قبل سبعمائة سنة . وهذا ينطبق على ما قلناه عن النسخة السابقة .

ثم انها ، كالنسخة السابقة تماماً ، تحتوي على مقالة في المراتب السماوية فصولها ١٦ ، واخرى في المراتب البيعية فصولها ٦ . وتليها مقالات في الكهنوت ، فصول الاولى ٨ ، والثانية ١٨ ، والثالثة ٢ ، والرابعة ١٣ . وبعدئذٍ اربع مقالات في قيامة الموتى ، عدد فصولها (١١ ، ١٥ ، ٨ ، ٢٣ =) ٥٧ . واخيرًا مقالات في القداس والرتب (مينجانا : ثمّ) .

فاذا استثنينا المقالة في الابالسة ، كانت النسختان ذات محتويات واحدة بعينها ، وسياقٍ وترتيب واحد ؛ وكانت بالتالي كلتاهما والنسخة « ا » ذات نص واحد على الارجح في الاجزاء المشتركة بينها ، مع هذا الفرق ان النسختين « د » و« م » يزيد فيهما فصلان او ثلاثة في المقالة الرابعة في الكهنوت وينقص فيهما فصل واحد في المقالة الرابعة في القيامة .

النسخة «و» الحمصية ، خاصة غبطة البطريرك برصوم ، قد لا تُخطئ اذا قدرنا ان غبطته نقلها عن النسخة « د » الموصلية التي يصفها في كتابه « اللؤلؤ المنثور » . ولو كانت الواحدة مختلفة عن الاخرى ، لكان غبطته قد اشار بدون شك الى ذلك ، اقلّه بكلمة (ثمّ : ص٢٤٢) .

اما النسخة « ز » الشرفية ، التي درسناها بذاتنا ، فمن محتوياتها العديدة القيّمة كتاب في الكهنوت ، مقالاته ستٌ ، ختمت الاخيرة منها بهذه العبارة : « [illegible] هذا هو : تمّت مقالات الكهنوت ، وهي ستٌ ، بمعونة الله ربّ الكل » . فالمقالات الاربع الاولى هي هي بعدد فصولها وعناوين الفصول كما في النسخة « ا » . غير ان فصول المقالة الثانية ، وهي في كلتيهما ١٨ ، شطر الفصل الاول منها فتألف منه الفصلان ١ و٢ . وضُمّ الفصلان الاخيران ١٧ و١٨ فألفا الفصل ١٨ . وزيدت المقالة الرابعة ثلاثة فصول بعد الفصل الرابع .

وقد يكون في عناوين هذه الفصول المزيدة دليل على انها في الاصل اجزاء من الفصل الرابع او متممة له . ودونك هذه العناوين : الفصل ٤ : في شرح كلام بولس الرسول الى تيموثاوس وطيطوس، واولاً في اسم الاسقف والكاهن. [الفصل ٥ : في اسم البطريرك والجاثليق والمطريبوليت والاسقف ؛ الفصل ٦ : في الفرق بين البطريرك والجاثليق والمطريبوليت والاسقف ؛ الفصل ٧ : في شرح كلام بولس الرسول].

اما المقالتان الزائدتان فكلتاهما ذات خمسة فصول ، وثانيتهما اي السادسة متخذة بكاملها من المقالة في المراتب البيعية الواردة في النسختين «ا» و«د» ، قبل المقالات في الكهنوت .

وعليه يتضح ان هذه النسخة «ز» والنسختين القديمتين «ا» و«د» ، وما يتفرع عنها ذات نص واحد في المقالات الاربع في الكهنوت والمقالة السادسة في المراتب البيعية ، مع هذا الفرق ان المقالة السادسة هذه ترد في تلك النسخ قبل مقالات الكهنوت ، مستقلة عنها ؛ وفي النسخة «ز» بعدها ، كجزء منها ، مقرونة بمقالة اخرى .

النسخة «ح» الديانية ، لا تُعرف شيئاً عن اقسام كتاب الكهنوت فيها. ولما كان مؤلفها ومؤلف النسخة السابقة واحداً بعينه (شيخو : المشرق سنة ١٩٣٠، ص ١٠٣٧) ، فلا يبعد ان يكون موضوعها واقسامها واحداً كذلك .

النسخة «ط» القسطنطينية ، جاء عنها في « اللؤلؤ المنثور » انها تقوم « بست مقالات في الكهنوت السموي والارضي » ، فالمقالات الاربع الاولى هي هي بعدد فصولها وموضوعها كما في النسخة «ز» ، وكذلك المقالتان الخامسة والسادسة ، كما اتضح لنا من مقابلة موضوعها بمثله في هذه النسخة «ز» (البطريرك برصوم : ثمّ : ص ٢٥٥) . فيقيننا انهما متماثلتان جدّ المماثلة ، اذا لم تكونا واحداً .

ولذلك استغربنا ما جاء عن هذه النسخة «ط» في « اللؤلؤ المنثور » من انها تخالف ما وضعناه تحت اسم النسخة «ا» « بعدد فصولها وصفحاتها... والارجح انهما كتابان مختلفان » (ثمّ : ص ٢٥٥) . وقد رأينا انهما تتفقان بالاحرى تماماً بعدد المقالات وعدد فصول كل مقالة .

النسخة « ي » الواتيكانية الحديثة تقوم بمقالة واحدة في الكهنوت ، فصولها ٤٠ ؛ وبمقالة اخرى في شرح الليتورجية ، فصولها ٥٠ (ابي. ثم) .

وقد وصفها العلامة السمعاني بقوله : « ان ٣٢ فصلاً بكاملها من كتاب الداراوي في الكهنوت (= النسخة ا) ترد بالالفاظ عينها في المقالة التي نسبها . . . ابرهيم الحاقلاني الى يوحنا ماورن » (= النسخة ي) . (المكتبة الشرقية : مجلد ٢ : ص ١٢٢ — ٣) ؛ وكذلك : « لما كان القسم الاكبر . . . من المقالة في الكهنوت [لماز يوحنا ماورن] . . . واردًا بالالفاظ عينها تقريباً في [كتاب] يوحنا اسقف دارا » (فهرست المكتبة الواتيكانية : مجلد ٢ : ص ٥٥١) . وقد قابلنا فهرست فصول هاتين النسختين وعناوينها ، بعضها ببعض ، فوجدنا بالواقع ان معظم فصول النسخة « ي » هي هي بعناوينها في النسخة « ا » ، ولكن بتقديم وتأخير في نظامها .

بقيت النسختان « ك » و« ل » . فالمرحوم الاباتي يوسف حبيقه ، ناشر نصها ومعرّبه ، لا يذكر عنها سوى انهما « لا تختلفان بشيء » . وكلتاهما باربعين فصلاً ، عناوينها هي نفسها في النسخة السابقة الحاقلانية . ولا شك في انهما منقولتان عنها .

بيان من محتويات النسخ ان « لكتاب الكهنوت » اربعة نصوص :

الاول في النسخة « ا » والنسختين « ب » و« ج » المأخوذتين عنها . وهو النص الاكثر اهمية : لقدمه ، اذ انه يرتقي عهده الى اواخر القرن التاسع او اوائل العاشر ؛ ولمصدره ، اذ انه كُتب ، او اقلّه وُجد ، في بغداد سنة ٩٢٦ م ؛ ولقربه من عهد مؤلفه الذي توفي سنة ٨٦٠ م ، (انظر ما سيلي) .

والثاني في النسخة « د » والنسختين « ه » و« و » المنقولتين عنها . وهو يلي النص الاول في الاهمية من حيث القدم ، اذ انه يعود الى القرن الثاني عشر او الثالث عشر ؛ ومن حيث المصدر وهو الموصل العريقة ، كبغداد ، في الديار السريانية . وكلا النصين واحد ، على ما يظهر ، او على الاقل مماثل احدهما الاخر .

والثالث في النسخة « ز » والنسختين « ح » و« ط » المشابهتين لها كل المشابهة . وهو قديم كالسابق ، خُطّ في بلاد نينوى شرقي الموصل في القرن الثالث عشر . ولا يبعد أن يكون هو والنصان السابقان واحد في مقالاته الاربع الاولى ،

وفي مقالته السادسة الزائدة فيه بالنسبة الى النصين المذكورين .

والرابع لا اثر له الا في النسخة « ي » والنسختين « ك » و« ل » المتخذتين منها . وهو حديث من القرن السابع عشر . وقد خُطَّ في رومية . ومعظمه واردٌ بالحرف في النصوص السابق ذكرها ، القديمة عهداً والعريقة مصدراً ، وان يكن مختلف السياق والترتيب .

يبان كذلك ، مما ذكرنا تصريحاً او تلميحاً ، ان نصّ « كتاب الكهنوت » هو بالتالي وبالنتيجة واحد بعينه . فذلك لا ريب فيه بشأن النصين الاول والثاني . فالمقالات الاربع في الكهنوت هي هي فيهما . وهذه المقالات هي عينها كذلك في النصّ الثالث ؛ انما زيد هنا مقالتان ، احداهما واردة بصحبة النصين السابقين ، ولكنها مستقلةٌ عنهما وقبلهما . اما النص الرابع فمتحول عن النص الاصلي بتغيير وتبديل ، وزيادة ونقصان ، وتقديم وتأخير . لكنه لا يبطل ان يكون منه في الاصل والاساس .

٣ – مؤلّف « كتاب الكهنوت »

من الثابت الراهن ان « كتاب الكهنوت » ، على ما عرّفناه وشرحناه ووصفناه ، هو ليوحنا اسقف دارا المتوفى سنة ٨٦٠ م ، ودارا قرية بين نصيبين ومردين .

ففي النص الاول ، قد ورد اسمه في راس كلّ من المقالات الاربع في الكهنوت ، بهذه العبارة : « ܡܐܡܪܐ ܕܚܕ ܡܢ ܫܒܥܐ ܘܡܟܬܒ ܥܠ ܟܗܢܘܬܐ ܘܐܘܠ = مقالات في الكهنوت للبارّ عينه مار يوحنا مطران دارا » . (فهرست المكتبة الفاتيكانية : ثمّ : ص٥٤٢ و٥٤٣ اعلاها وادناها و ٥٤٤ ؛ فهرست المكتبة البودليانية : عمود ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٥ اعلاه وادناه) .

وعلى هذا النحو ورد اسمه في النص الثاني : « ܗܐ ܗܢܐ ܫܬܐ ܡܐܡܪܐ ܕܚܕ ܡܢ ܫܒܥܐ ܘܡܟܬܒ ܥܠ ܟܗܢܘܬܐ ܘܐܘܠ = هذا الكتاب الثاني من تأليف ابينا الطوباوي البارّ مار يوحنا مطران دارا » . (فهرست مكتبة برمنجهام : ثمّ : عمود ١٥٤) .

اما النص الثالث فينسب الى موسى بركيفا (= ابن الصخرة) ، اسقف

بارمان او بيت رمان ، شرقي شمالي الموصل ، المتوفى سنة ٩٠٣م. فقد صرحت بذلك النسخة « ح » : « ست مقالات في الكهنوت السوي والارضي لابن كيفا » (البطريرك برصوم : ثم : ص ٢٥٥) ؛ والنسخة « ط » (شيخو : المشرق سنة ١٩٢٠ : ص ١٠٢٧) . وخلت النسخة « ز » في المقالات الثلاث الاولى من اسم صاحبها ، في المتن ؛ انما زيدت هذه العبارة : « لموسى بر كيفا » ، بحبر وخط مختلفين ، على الهامش ، قبالة المقالة الاولى . واوردت المقالات الثلاث الاخرى اسم موسى بركيفا في عنوان كل منها وفي ختام المقالة الخامسة كذلك.

ان هذا النص الثالث ، بالرغم من نسبته بنصفه الاخير الى موسى بركيفا، إنْ هو في الحقيقة سوى النص السابق الذي ألفه يوحنا مطران دارا . فهذا واضح فيما يلامس مقالاته الاربع الاولى في الكهنوت ، على ما ذكرنا . وهذا ما نقوله عن مقالته السادسة فانها واردة في نسخ النص السابق قبل المقالات الاربع في الكهنوت ، واسم يوحنا مطران دارا في عنوانها : ܗܕܐ ܡܐܡܪܐ ܕܡܠܦ ܥܠ ܟܗܢܘܬܐ ܘܥܠ ܟܠ ܡܕܡ ܕܐܝܬ ܒܗ ܘܐܬܝܪ ܡܢ ܗܠܝܢ ܕܟܬܒ ܝܘܚܢܢ ܡܛܪܢ ܕܕܪܝܐ ... ». المقالة الثانية للبار مار يوحنا مطران دارا ...» ؛ وموضوعها « شرح لكلام القديس مار ديونيسيوس [الاريوباجي] في مقالته عن رئاسة المراتب البيعية » (المكتبة الشرقية : ثم : ص ٥٤١ ؛ بابن سبث : ثم : عمود ٤٩٠ ؛ مينجانا : ثم).

اما نسبته الى موسى بركيفا، فاذا صحّت، فتكون فقط من باب التوسّع. فان هذا الاسقف يكون قد اخذ المقالات الاربع ليوحنا الداراوي واضاف اليها المقالة السادسة التي هي ليوحنا المذكور عينه، والمقالة الخامسة التي نجهل مصدرها . فنُسِب الكتاب اليه في وضعه على هذا الشكل، وليس في تأليفه.

وقد يكون هذا ما حدا ناسخ مخطوط الشرفة (= النسخة ز) الى التردُّد في نسبته اليه . فاهمل اسمه بتاتاً في المقالات الثلاث الاولى .

بقي النص الرابع . فالنسخ التي تورده ، تنسبه الى مار يوحنا مارون . وقد كتبها اولاها المعلم ابرهيم الحاقلاني بخطّ يده، بدون اشارة الى مصدرها. وقال بهذه النسبة ، بدون ان يدلي بما يثبت قوله ، فلا يصحّ الركون اليه . وقد ذكرنا ، فيما سبقنا فقلناه ، ان معظم فصول هذه النسخة يرد في كتاب الداراوي . فهل يصح اللجوء، كما فعل بعض الكتبة، الى القول بانتحال المتأخر،

اي الداراوي ، كلام المتقدم ، اي مار يوحنا مارون .

ان في هذا القول بعض التباس بل بعض تضليل . لان العبرة في التقدم والتأخر ، في باب الانتحال ، لا تكون من حيث الاشخاص — وخصوصاً متى كانوا في عصر ندرت المستندات التاريخية العائدة اليه واليهم فيه — وانما هي من حيث النسخ المحتوية على الكتاب المبحوث عن انتحاله ، او من حيث ورود ذكره عند الكتبة المحققين .

والحال ان من « كتاب الكهنوت » ليوحنا الداراوي نسخة قديمة جدًا كتبت في زمن غير بعيد عن تاريخ وفاته . اما الكتاب المنسوب الى مار يوحنا مارون فلا نسخة قديمة منه معروفة ، وقبل اواسط القرن السابع عشر لا اثر لنسخ منه ولا لذكر له في الكتب والمؤلفات . فلا يمكن القول بان الكتاب الاول القديم منحول عن الثاني الحديث . وتُعكس الآية فيما لو تسنّى العثور على نسخة من الكتاب الثاني يرتقي عهدها الى القرب من عهد مار يوحنا مارون ، او اقلّه الى ما قبل يوحنا الداراوي ، او فيما لوحيا . ذكر له في مخلّفات تلك العصور .

اما ان يوحنا مارون متقدم عصرًا على يوحنا الداراوي فليس ببرهان على ان له كتاباً في الكهنوت نحله الداراوي . مثال ذلك ان يمنّ لاحد المعاصرين وضع نسخة بتصرف قليل او كثير ، عن كتاب « منارة الاقداس » للدويهي ، ونسبتها الى احد البطاركة اسلافه ، كيوحنا اللحفدي ، وبالتالي اتهام الدويهي بانتحال اللحفدي ، بحجة ان هذا متقدم على ذاك ؛ فلا يأبه احد لمدّعاه ، بل يهزأ الجميع به . إلا ان يُبرز نسخة من كتاب اللحفدي المزعوم تعود اقلّه الى ما قبل زمن الدويهي .

لهذا السبب نرى علامتنا الكبير يوسف سمعان السمعاني ينفي نفياً باتاً ، في « المكتبة الشرقية » ، صحة نسبة كتاب الكهنوت الى مار يوحنا مارون ، ويؤكد وجوب نسبته الى يوحنا مطران دارا (مجلد ١ : ص ٥٢٠ ؛ ومجلد ٣ : ص ١٢٢-٣) واذا كان في فهرست المكتبة الواتيكانية ، الذي وضعه بالاشتراك مع ابن اخته اسطفان عواد السمعاني ، يعبّر عن تردّد في نسبته الى يوحنا الداراوي استنادًا الى نسخته القديمة ، او الى يوحنا مارون بحجة انه اقدم عهدًا من الداراوي

(مجلد ٣ : ص ١٥٥) ، فلا شك في ان هذه العبارة، التي تتنافى وما سبق فاكده في « المكتبة الشرقية » ، هي من عنديات ابن اخته المذكور .

وقد ضرب العلماء المدققون على غرار السمعاني فاكدوا بدون تردد ان يوحنا مطران دارا هو مؤلف « كتاب الكهنوت » . ومنهم العلامة وريت في كتابه في آداب اللغة السريانية (ص ٢٠٤ — ٥) والعالم روبنس ديڤال في كتابه في الموضوع نفسه (ص ٣١٨ و ٣٩٠) ومن جاء بعدهما .

وقد قال حضرة الخورفسقوس اسحق ارملة ، في كلامه عن نسخة دير الشرفة : « ان كتاب الكهنوت منسوب [فيها] سهوًا الى موسى بركيفا ، والصحيح انه تأليف يوحنا اسقف دارا في القرن التاسع ، على ما ذهب اغلب المحققين » (الطرفة : ص ٧٣ ؛ الحاشية) .

اما غبطة البطريرك برصوم ، الذي يرى خلاف ذلك ، اي ان كتابي الداراوي وبركيفا في الكهنوت هما « على الارجح كتابان مختلفان » (اللؤلؤ المنثور : ص ٢٥٥) ، فترجيحه يحتاج الى درس اوفى لنصّ الكتابين، او تقديم ادلة وبراهين اتصع ، وبانتظار ذلك يفضل القول بان « كتاب الكهنوت » ، في اي النصوص أتانا ، هو في اساسه واصله ليوحنا اسقف دارا .